زكي الصدير

شاعر من السعودية

جنّيات شومان

اللوحة وتصميم الغلاف : الفنان حسين المحسن

جنّيات شومان

هديةٌ

. . . . لرفقةِ الكون

. . . . رفقاء زنزانة ١٣

. . . . وَلَـهَا

هوسُ المرايا

- نظرَ في عيونِ ابنِهِ وابنتِهِ ، ثمَّ أشاحَ ببصرِهِ نحوَ بطنِ زوجتِهِ الممتلئ، رأى في مستقبلِ أيامِهِ ستَ عيون.

- ذاتَ يومٍ أحسَّ بالعطشِ ، فكتبَ قصيدةً ليرتوي .

- تسلقَ جدرانَ منزلِهِ وهوَ على يقينٍ بأنَّ البابَ مفتوحٌ ، غيرَ أنه هكذا أرادَ أن يعرفَ كيفَ يتسلقُهُ الآخرون .

- صَمَتَ لأنه فهمَ – خطأً – أنَّ السكوتَ من ذهب .

- أحـــياناً يركضُ وراءَ نفسِهِ، لكنهُ أبداً لم يعـــشْ يوماً من أجـــلِها ، لـــهذا ماتَ وحيداً .

- تأملَ وجهَهُ ذاتَ يومٍ في المرآةِ ، فاحتقرَ نفسَهُ ؛ لأنهُ وجدَهُ أجملَ منها .

- بينَ أناملِهِ وسلطانِها مسيرةُ ليلةٍ ، وتأوُّهُ ظلٍ، وغفوةُ مدينة .

- ساعاتُهُ التي اختارها لجدرانهِ لم تكنْ له ! فأصابعُها الميتةُ من فرطِ سرعتِها ما عادتْ تشيرُ إليه !

- شرفتُه التي أطلَّ على كونِهِ الصغيرِ منها ابتلعَها ضميرُهُ الشهم !

- لطالما راقبَ قواريرَهُ وهيَ تتدحرجُ على طاولتِهِ فارغةً بلهاءَ مثلَ قلبِه ، أحياناً بدلَ أن يُفرغها مِن لفائف الصحفِ كان يُمنيها بغوايةِ يومٍ جديد !

- لمن هذه الأيامُ التي تجتاحهُ كي تنفرجَ لهُ غُرُفاتُهُ المقدّسة ، فهوَ والفرحُ طائرانِ من ورق ، فمالهُ والوقوف والزنازينُ مفرغةٌ من الخيالة ؟!

- هوَ وأنتم ، وبينكم على متكأِ الحانةِ ستُ قواريرَ، ومزهريتا أملٍ، ونظرةٌ ليست تشفيها الأجوبة .

- هوَ وأنتم وبينكم زرقةٌ من الغيومِ، وصداقةٌ نقيةٌ من الأسئلة.

- هوَ على مرمى حجرٍ من الغواية ، فلمنْ كلُ هذا السكرِ؟!

- لطالما ادَّخرَ سنابلَهُ لغفوةِ جوع ، وغنَّى للأهازيجِ وللشموعِ ولماءِ الورد ، وكانت هيَ هناكَ صنوبرةٌ مقصيّةٌ في بريةٍ يفضحُها البياض .

- من أينَ لهُ القدرة على البكاء !؟ فإنما يحتمي بكفهِ مخافةَ مجاعة جديدة ، ولكم تمنَّى هذا النرجس لهُ وحدَهُ ، فإيَّاكِ أن تطلقي الغيابَ عليه .

- على مقربة خطوات من الياسمين يشجُّ قميصَهُ من دبر لعلَّهُ يوقعُ الفتنة بهم ، وينوحُ كطائر الهامة :
اسقوني ... اسقوني ... فأنا الناعي صاحبي
... والباحث عن ثأره

ويتمتمُ للجن :

"فأينما أذهـــــب ألقَ ســعده"
أسيلةً وصـــــيفةً ودعدا
هَمٌّ همَّ الريح في مـــــــشيها
كـــأنها تلقي علـــيك وعدا
صلاتها مـــــــــزج أكف له
وكــفرها جاد بها وأنـــدى

سئل عليه السلام عن اسم أب الجنِ فقال :

" شومان وهو الذي خُلق من مارج من نار"

جنيَّة شومان

إضاءة . . .

سربروس : هو الكلب الذي كان يحرس مملكة الموت في الأساطير اليونانية، حيث يقوم عرش " برسفون " آلهة الربيع بعد أن اختطفها إله الموت . وقد صوره دانتي في " الكوميديا الإلهية " حارسا ومعذّبا للأرواح الخاطئة . سفروس هنا منحوت من اسم سربروس صاحبنا هناك .

الموت المؤنث

اسمي سند . جئتُ أحدثكم الليلةَ عن صديقيَ سفروس . منذُ زمنٍ وأنا أتطلعُ للقائكم به عبري/دائماً كانَ يقـــولُ لي : يا سند لم تحنِ الفرصةُ بعد !

الليلةَ شاءَ لنا أن نكشفَ سترهُ ونعرّيه ... فتمتعوا !
سفروس كائنٌ بلا قبعةٍ ويكرهُ الأقلامَ/على لسانهِ تبـــاعُ الدنيا ولا تشترى . يحاصرُ التاريخَ ولا يلتفتُ له/ يحكّمُ قاموسَهُ على قواميس الكتبِ المدرسيةِ/سفروس يحملُ همَّهُ الحياتيَّ على كفٍّ صدى اليومِ ، لا يكتـــرثُ للقـــادم/ سفروس كائنٌ أحمق إذا ما جعلنا الحماقةَ فعلَ المنبت/على لسانِ سفروس تنتحبُ اللغاتُ . تختنقُ الجسورُ بأنفـــاسِ المارة/تعترفُ خواصرُنا بالموت/على لـــسانِ ســـفروس اعترافاتُ عبدِ المتجلي و جان جاك روســـو و اللهِ مـــع الملائكةِ والأنبياءِ والأوصياءِ والرسل/على لسانِ سفروس نمضي يائسين إلى وهمِ السلامة .

ماخورٌ في الشارعِ الخلفيِ يحوي فُرُشاً وفنـــاجينَ قهـــوةٍ وكؤوسَ نبيذٍ فارغة/على مقربةٍ منهُ ثمةَ كـــائنٌ يتحـــركُ يُدعى بحراً/هناكَ كانَ يعيشُ — ولا يـــزالُ — ســـفروس وحيداً معَ مجموعةِ قـــصاصاتٍ ورقيـــةٍ كتـــبَ عليهـــا وصاياه/تسمعهُ ينتحبُ إذا ما الدنيا أدارتْ ظهرَها لـــهُ ويغني/ولأنهُ يراني في نفسهِ تجدهُ ينعاهُ عبري :

يا سندْ
ماتتِ الدنيا على كفي
ولْم يشهدْ أحدْ

يا سندْ
كلُّ أشيائِكَ في بيتيَ ضاعتْ
وبقَى في سورةِ الليلِ مَسَدْ

يا سندْ
الملايينُ التي تزرعُ في قلبي الخرافاتِ
يموتونَ بَدَدْ

يا سندْ
عاودِ الصمتَ
فواللهِ لقدْ أبكيتَ مولانا الصَمَدْ

أيّكم يقطفُ من قلبي الكمنجاتِ
ويلقيني على الإسفلتِ
في غمرةِ هذا السهوِ مابينَ المقاماتِ
ويرخي لي وَتَدْ ؟

أنفضُ الليلةَ عن كتفيَ أعذارَ الفراشاتِ
وألقاكُم بتابوتٍ لعمرانَ
بقايا منْ وصايا النرجسِ الغضِّ

أرجُّ الكأسَ بالمجدافِ وَهْناً
ثمَّ تلقوني بيمْ

وخليلايَ يعوجانِ ببحرٍ
يلتقي التابوتُ بالتابوتِ بالمركبِ بالألواحِ بالحرثِ
بكأسٍ من نبيذِ التوتِ زلّتْ بي قدمْ

سرّح المولى بأعناقِ زجاجاتي
وأفضى لسرابِ العمرِ مائي
ثمَّ في الوحشةِ لمَّا انتقضَ الحفلُ بحمّالِ المنايا
وأصاخَ الدربَ بالعتمةِ بالموتِ بباقي رؤبِ الليلِ
أتاني بشهيدٍ واحدٍ يحكي الخرافاتِ
وينبيني على الميقاتِ : بمْ

فيا للهِ يا مولايَ بمْ
فيا للهِ يا مولايَ بمْ

يا سندْ
عاودِ الصمتَ
فواللهِ لقدْ أبكيتَ مولانا الصَمَدْ

لا أحدْ
يُرجعُ الموتى ليختاروا النهاياتِ
ويلقوني بباقي خمرةِ العشاقِ بالساحلِ
أو يرووا لشمعاتٍ تراتيلَ الأحدْ

لا أحدْ
وحدهُ أنتَ بتابوتِكَ تغويني
فأنسى العهدَ والميثاقَ
أنسى لغةَ اللهِ
كلامَ العارفِ الأولِ موسى

وحدهُ أنتَ
بوادي اليمنِ المسكونِ بالموتى
تناديني لأحمالِي لأورادِي لأشيائِي القديماتِ
ببابينِ ورأسينِ بمثنى وأحَدْ

وحدَهُ أنتَ
فهل يُغويكَ ما استطفحَ من روحِ الزجاجاتِ
وهل ترويكَ أعناقُ القناني
في جناحيكَ أرى ترياقَكَ الأولَ مصلوباً ببابي

وحدَهُ أنتَ
ببابينِ على قارعةِ الفقرِ بسامرا
تطيلُ العبثَ الملقَى على أرصفةِ الروحِ
ولا تبصرُ إلا وطناً يمّمَ نحوَ القدرِ الأعمى
بتابوتِ سليمان بن داوود

وحدَهُ أنتَ
بنجماتِكَ تأتي فرحَ العمرِ
بأوراقِ خريفٍ كربلائيٍ
ولا تبصرُ أبوابَ القيامة

وحدَهُ أنتَ
فخذني نحوَ جناتِكَ خذني يا سندْ

كلُّ أشيائِكَ في بيتيَ ضاعتْ
وبقى في سورةِ الليل مسدْ

يا سندْ

يا نديمي إن صفا الوِردُ فقدمْ لي شَرابا
واتركِ الدنيا تولّي واجعلِ الهمَّ سَرابا
هوَ ذاكَ الجرحُ إنْ دقَّ على كأسِكَ غابا
دندنَ العودُ فأرقصتُ نهاداً كلّما اهتزَّ استرابا
واستجابتْ شفتاها لثمَ ثغري فامتلا القلبُ شبابا
واقشعرَّ البانُ منها أسمراً لذَّ فطابَ يا سندْ

وحدَهُ أنتَ
وتنسيني تفاصيلُ الحكاياتِ ذنوبي
أضعُ الفانوسَ في الشارعِ
أرتاحُ مسافاتٍ من الضوءِ وألهو
علّها تحيي خرافاتي جنوبي

أضعُ الفانوسَ في الشارعِ
أنسى سننَ الكونِ وأغفو ركعتين

ثم في الصبحِ أصلي بدمِ الراقدِ تحتَ الصلبِ
أدعوكَ إلهي : لِمَ تتركنا وحيدَينِ
ولا تزرعُ في مقهاكَ نوراً ؟!
وحدَهُ يا أنتَ أدعوكَ فخلصني إلهي بمددْ

مددْ مددْ مددْ مددْ
شدِّي حيلك يا بلدْ

مددْ مددْ مددْ مددْ
شدِّي حيلك يا بلدْ

مدَدْ
الملايينُ التي تزرعُ في قلبي الخرافاتِ
يموتونَ بدَدْ
وعلى شباكِهم أعرافُ جدرانِ المطهَّرْ

أيُّكم يفتحُ جدرانَ الفراديسِ لهم ؟
أيُّكم يمنعُ جثمانيَ أنْ ينهضَ في المرآبِ
أو يشربَ كأساً في الطريقِ المنتهي بالله ؟
أيُّكم يزرعُ في قلبي الكمنجاتِ
وينسينيَ بمْ

كلُّ منْ أعرفهم قد غيّبَ اللهُ بقاياهُم
وزلّتْ في صراطِ الله أنفاسي
ولْم أذكرْ دعاءً واحداً ينجي
ولا ذكراً ببابِ العارفِ الأعظمِ ينجي
لا ولْم أذكرْ سوى شباكِها العالي
وطيفٍ غادرَ الدنيا ولْم يرجعْ بباقي زهرةِ اللبلابْ

آآآآآهِ لو تعرفُ كمْ يوجعني الموتُ المؤنث
فارسُ الأضعانِ ينبيني بقاموسِ البطولاتِ
ويحكي لي النهاياتِ
ولا يزعجُهُ نبري على ما اختطهُّ التاريخُ مـــن جنـــدِ السماواتِ
ولا ينتهرُ الموتَ إذا ما أثّثَ اللهُ شموعَ الناسِ في مقـــبرةِ الدنيا
وأنشا حكمَهُ العادلَ في سجنٍ مؤبدْ

آهِ ما أحلاكِ يادنيا لو انّ العمرَ لا يفنى
ولا اللهُ يشرّدْ

آهِ لو تحكي وتنسيني ماضيَّ
ولا تشربُ من نفسِ نبيذي

زانكَ العمرُ على زنّارِ أفكارِكَ روحاً
يحتمي بالزهرِ في قالبِ حبٍ بوريدي

وحدَهُ أنتَ على بابِ سليمان بنِ داوود تعرّيني
فأشتاقُ محياكَ لدى حارسِنا المخلصِ سبروس
وأغفو لأرى في قادمِ الأيامِ ناراً ومطرْ
وحدَهُ أنتَ ببابين :
نهارٌ عانقَ الدنيا وليلٌ بقمرْ

وحدَهُ أنتَ
ولا شيءَ سوى أنتَ على بابِ القيامة ياسندْ

وتسلَّمتُ من اللهِ كتاباً
وبكفيَّ تسلَّمتُ من المولى كتاباً ياسندْ
كلٌّ منْ أملّتُ فيهم رَحَلُوا
أو رحِّلُوا للغابةِ الأخرى بسفرٍ
لم يعمدهُم بقُداسٍ أحدْ

جادَكَ الغيثُ وقلبي فارغٌ
أتُرى يصلحُ ماكانَ فَسَدْ
جادكَ الوصلُ بتحنانِ اللّمى
فوقَ جرحٍ فيهِ وَرْسٌ قدْ غُمِدْ
" جادَكَ الوصلُ إذا الغيثُ هما "
يتثاغونَ بأوتارٍ تُشَدْ
حدّثَ اللهُ عليهمْ مغنَما
فتعاليت وسبحت سندْ

وحدَهُ أنتَ
فشاطرني نصيبي ياسندْ
وضعِ السندسَ في كفيكَ
واخلعْ خاتمَ العهدِ
وشرّدْ خلفيَ الدّنيا
وقتّلْ كلَّ منْ لاقيتَ
حطّمْ سدرةَ الكافورِ واجعلهم بَدَدْ

واذكرِ المولى على شباكِها
يارعاكَ اللهُ راقصهمْ وفضَّ الطيَ في الزوراءِ ليلاً
لا تبكّرهمْ بوصلٍ سفهاً
كُفَّ هذا القلبَ عن سلوانِ ليلى واتئدْ في الحبِ
لا تلقِ بأنفاسِ المجانينِ على قارعةِ الليلِ
.....
.....

ونادمهمْ قليلاً

قلْ لهم : أنْ يشربوا ما استبقتِ الأرضُ لهم
قلْ لهم : أن يحتسوا الملحَ سكارى
و يغنوا وطناً شُدّ لهُ الحبلُ

وقلْ : يا مجانين ... تعالوا يمّمُوا نحوَ النبوءاتِ
لنرخي سلّمَ الليلِ على جدرانِ مبغانا

: يامجانينُ ومن يختارُ نادينا
وينحازُ إلى قبعةِ البحرِ بوترٍ ؟!
أيكم يملأُ أكوابَ الكمنجاتِ بلحنٍ
ثمّ يفضي للدهاليزِ بأحلامِ سليمان بن داوودْ ؟!

وحدَهُ أنتَ
على قارعةِ البحرِ قدِ اخترتَ الكراسي
وتوسدتَ القناني
وتحملتَ على وزرِكَ أوزارَ المجانين
فخلّصني إلهي بمددْ

وحدَهُ أنتَ

ببابينِ قد اخترتَ

على أيّهما ملتُ أفقتُ الآن من سكرِ الممراتِ ببحرٍ

لجةٌ في قلبِ أريون / دلافين / موسيقى

أعطهِ يا أنتَ نوراً يهتدي في غمرةِ الليلِ لأريانا بهِ

أعطهِ حبلاً من التذكارِ

واخلعْ رسمكَ المرخى من النوتةِ

فاللحنُ نشازٌ

وحدَهُ يا أنتَ أدعوكَ

فخلصني إلهي بـــ م د دْ

جنيَّات شومان

نحدو لدغة

(كان العرب إذا أراد أحدهم سفراً أو تزويجاً

أو نحو ذلك من المهام

ضرب بالقداح،

وكان على بعضها مكتوب :

أمرني ربي ،

وعلى بعضها الآخر :

نهاني ربي ،

والباقي غفل ،

فإن خرج أمرني ربي مضى لشأنه،

وإن خرج نهاني ربي، أمسك ،

وإن خرج الغفل أجالها ،

وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر أو النهي)

حينما لا يهتدي لنجمٍ ينتابُ الحادي قلقُ الظهيرةِ
يتفرّسُ حقائبَ المسافرينَ علّ يجدُ شارةً توصيهِ بالخيبة
علّ يُدَقُّ له ناقوسٌ يرشده
وعندما لا يحصدُ أملاً
يزمُّ لجامَ جملِه ميمّماً نحوَ الضياع

أَجِلْها أياحادي فقلبي رأسُ أفعى
وبقاياي على مرمى حجرْ

كلفٌ بمعاصيكَ
تؤاخي العوانَ بالقلوصِ وتجرّب النكاية

خذنا إلى وهدة مليئة بالعقارب
وإيّاك أن تسلمنا لنبع

صــوت عوان :

تلوذُ الآنَ من ماءٍ إلى طينٍ
وتسلو في الممراتٍ على رقعة تاروتَ
تساويك بأنفاسك إذ لم تك أنثى
تضع الشطّ على تخت سماكْ

خذ ْ يميني هبةً تحت ثراكْ
فرمال البلد المهجور لم تأتِ إليكْ
لا ولم تبكِ عليكْ

هاتِ منديلَك ياشيخ ورقُمني بأُشْنات الينابيعِ
فلي برٌ من القرميدِ
أنفاسٌ من العجن على تنورك البكرِ
تنضّ اللّهب الملقى على أرضي
أغمّي عينيَ اليمنى بمنديل الوصايا لأراكْ

خذْ يميني
و اعقدِ اليسرى على زندكَ واعدُ
لتجوس الأمل المرخى على باب القيامهْ
وتفدّي سحنة الليل بأفخاخ العلامهْ

جزَّ ياحادي حقولَ الرملِ واعبرْ
ففخاخ الدم مرصادك للرؤيا
ومنسامُ العوانِ قد براكْ

إيهِ ياحادي وقلبي رأسُ أفعى
وبقاياي على مرمى حجرْ
ومهبّ قلبك الخالي على صوت أغانيكَ
تجود المدن الحيرى هلالينِ... نجوماً وفوانيس هداية
وعلى زندك زميت قمرْ

هاتِ منديلك ياشيخُ
فأعناق القناني قد تكسّر(ن) وما عادت طريقي في حماكْ

قد تشتتنا عن الربعِ
وجزنا والتقينا آخر العمر بلا كأس شراب
جرحنا قد خبأ الله ثناياه ربابات بأيدينا
وجزنا ...
ثم عدنا أيها الحادي خفافاً
نتسلى بقناني عرق ملفوفة بالختمِ

عدنا...
ليس يضنينا سواد الليل أو يرعشنا صوت الحفيف
ليس في أشباهنا ما ينبت العشب
فخذنا

خذ يميني وانسَ عهداً قد قطعناه خفافاً
لم تعد في القلب ساحات لنعطيها سراباً أيها الرملُ
فأسلمني لما شئت سأرضى
فالمدى صعب وأنفاسي أعدّتْ لهواكْ

وحنانيكَ أيا بيدُ
ففي نبضك عمري وحكاياتي وأنفاس أغانيك
التي غنيتها للرمل
لا ترحلْ

هاهنا للمرة الأولى أفدّيك بأنثاي
على مفترق الوادي فساومني قليلاً
واعطني وعداً وعيناً من حديد لأراكْ

سلوانا في مرايا الظل
نحتال على أنفسنا وعداً
ونجثو للمرايا
عجبي كيف تقاسمنا
بخور العود من صمت الليالي في ربيع العمر؟
كيف ارتسم الوعد لنا حلماً جميلاً في الليالي الست
فردوساً مغنىً في المساءات ؟

صـوت قلوص :

أيها البيد ، ياسيد الرمل، يا وافر الخطو بالحضوات الكثيرة ،
فيك ما ينبغي أن يؤدَّى على صهوة الريح... قالت ليَ
امرأة في السحابة
هذا الذي تأتي إليه مساؤك الشتويّ قالت
فاصنع لنفسك موهًا
لوّن مساحات الصحارى بالرؤى
وارسم تفاصيلي على الألواح ...

هذا الذي تأتي إليه على قفير القمح من بعد يحييك
فابنِ السرادق علّها في جمرة الإشفاق
أن تنشق بالكلمات أو تأتي على قوسي
وفي الآفاق نبض الصوت والهمس
أنا الحادي ، أنا الآتي ، أنا أمسِ
وبعضي ضاع في بعضي وأنفاسي على نفسي
نهار ملء هذا الرمل ... وليل مثقل الرأس

أنا الحادي على كتفي زممت مشارف الوادي
قطعنا بيد هذا الليل
خليطاً ضاع بالشادي ... أنا الحادي ... أنا الحادي

صـوت قعود :

....
....

أيا حادي ...
يأخذنا الكرى بمحاسن قطوف العيس
فتزجي بمشيتها أميرةُ الوادي
مكحولةً بمدامع الملوك
لا تدفعُ رسولاً يأتيها بمجاعة

أناختْ جملَها عظيمةُ الشأنِ
مقيمةً في الشمس
قابضةً على خطامه
تؤملُ الصحراءَ بمتعثراتِ قدم
فهي عقيدةُ الآملِ حينما لا يهتدي لنجمٍ
وشمٌ على جبينِ بدويةٍ لا يترعه إلا غاسل
وهبتنا ثلاث هوادجَ وجعلت مطيتها ناباً مسنّة
ثمّ أومأت للحادي أن يهبّ خلفها بقافلتهِ
أشطاناً ملتفينَ على جسدٍ يتبعها جزور
فكانت قادمةَ الجناحِ
وكنا سمَّارَه بعد ستِ ليالٍ من القحطِ والجدوبة

صـوت جزور :

لي نهار بخـــيمتين وخَـــــوْد
يتهـــــــــــجّى مزالق الريانِ
خُطّ رملي كـــما يُخطّ تميم
فوق زند مختــــــــّــــم بيمانِ
هاكَ ليلي مُعَسْعــَساً بربوع
جانَبَ الشِّعْبَ كاعـــبٌ بسنانِ
لي مســـــــــاءٌ بربوتين ووادٍ
نبــــــــــع ريق مثلّج بجمانِ

خذْ يميني أيها الحادي
ووزعني على مفترق الوادي
شمالاً أو جنوباً
بدمشق أو عمانِ

في الوادي ...
مالت عمامةُ الأميرةِ الملتفَّةُ على فَلْكَتِها
و لم تراعِ الأين والمشقة
هبوبٌ ذات نوارٍ تتطلّع إلى لغوب الراحلة
تعقد هجارَنا بما تيسّر لها من عمد و منابت أوتاد
إيه أميرتي...
مرجوون لغيث إذ سما بك بطن الوادي
نحرتِ ما تقدّم من جزور
وزدت البخور كيلاً
وابتهجت بنا وكأنك في عرس

بنظرة شققتِ صفوف فرسانك الدارعين على أهبة
ومشطتِ تراب الوادي للغرباء
كِيلاً ... كِيلاً
لم تتغيّب عيونك عنّا حقبة مفاضة
فكانت الخافر والمخفور
وبعد أن كنّا في دَوِيَّة،
صرنا في محنيَّة ساوى نباتُها شجرَها

منتجعةً في مساقط الغيث
مفترِشةً منازله :
الوسميّ ، والربعيّ ، والصيفيّ ، والشتويّ
رحلة على راحلة بحثاً عن كلأ

صوت هودج :

ضَنَكٌ في فسحةِ العيشِ
حمدنا نعمةَ المولى
كأنا وسطَ هذا الموتِ طرّاقَ ليالْ

بضعةٌ مني إناها والبقايا روحْ
وبجفنيَّ لمتُ الشنبَ المرجى
وغنيتُ : أيا صاحُ
على مفترق النجعة شهقاتُ رجالْ
وأنفاسٌ من الفقد تفوحْ

فأدرها أيها الحادي كما شئتَ
أجلها بقداحكْ
قد تساوت أنجمُ الليل
فما عادت مفاتيحَ سراحِكْ
خانك الغيمُ فألقاك مسجىً بجروحْ
ثم هنَّاك وغنىَّ لجراحِكْ

صـــوت طرمَّاح :

...

عشبٌ عشب
مرهونون بمحبّة السماء ، ومشيئة الرياح
فعلى الغدير تجمّعت القبائل
وهيأت في قلوبنا مواضع للصلاة
وبدأنا العدّ ... غافلين عن إبانة النجعة

عشبٌ عشب
ينبو بنا المقامُ فلا نفارق أرضَه
شيحٌ وقيصومٌ
ولطيمةٌ عكاظيةٌ ملئتْ بطيب المسك وفضيخ الزهر
كلها مقروءةٌ لمتعثري قدم البيداء وضالي السبيل

فلكم تمنيتك يا حادي مضيّعاً طريقك منذ أمد
حامداً السماء أنها لم ترشدك لنجم

فبطن الوادي لا يستحقّه إلا من أضاع دليله
(ومن سكن البحرين يعظم طحاله ، وينتفخ بطنه !!!)
ونحن على بعد مرمى حجر منها !

التغرّي في حضرة الحسين

المكان ....

بخمسة أشباح على عتبات تراوغ المكان
يتساءل الملك :
" هل لها اسم غير هذا ؟
قالوا : تسمى الطفوف ! "

الزمان ....

خباءٌ على شمسٍ تميلُ بجانب الليل
وتهذي لأرواح السماوات ... غسقاً ... غسقاً
ولا أحد يوقظُ الجيادَ لعراكٍ جديد

يوقفني ليقولَ لي :
ساعةَ نخسرُ اليتمَ على أرصفةِ العزاء
ساعةَ نوسّد الأملَ أتربةَ الغدر
نكون متيمينَ جهةَ الغيم ...
وعلى قدرِ مفاضتي ينوء المطر

نبيٌ نبيذْ
وعشرُ عطايا لسجدة حمدٍ
سهامٌ وجيدْ
نبيٌ نبيذْ
على كتفيَّ رثيتُ الكتابَ بهذا الصعيدْ
نبيٌ نبيذْ

وقفة لطقوس المشرب . . .

تنفتلُ بعارضٍ يناجيك
فتذهب متبوعاً بصوتِك
لمزيد من الريح/فمك في فمٍ يشبُ على حبوة :

ثـــــلاثاً... ثــــــــــلاثاً
اثنتين ... اثنتين
واحدةً ... واحدة

كرمتين ياسيدَ الجليل
واحدةٌ للكؤوس
وأخرى لشهقاتٍ مؤثثاتٍ على رَبعِك

وخواتمُ لحورياتٍ أرجأنَ رقصاتِ النحسِ
لمشهدِك العاشوري
وهنأن الصبابات بفضيخِ الدم
ورسمنَ على ترابكَ مواضعَ للسجودِ
وبدأنَ العدَّ :

واحدةً ... واحدة
اثنتين ... اثنتين
ثلاثـــــــاً ... ثلاثـــــا

متكئ على الغيمة أشفّ شموع مشربياتك
وأرتلُ للغافلين كتابكَ ......

... وأقول :

سمعت من شيخ الجن ، عن ثائر بن صابر
مرفوعاً لغيفارا بن غاندي أنه قال :
ست غسول على ساعد هاشم بن عدنان
يقيك ما يكون ويسلب منك الرضا

... وقال :

حدثها ماردٌ من غواة الجن ، فقال : إنني في غفوة من الريح سرحت الأسدي بمواعيد ، ووشمته بأختام السلاطين وهيأت له خاتمة الوصية وفسّرت له الرؤيا ، فقال : " آه لوجدك يازينب " ، ثمّ عدّ شموعه الثمانين فوجدها واحدة !

... وقال :

تلقينَ وعداً بهذي الأرضِ فاغتفري
ذنبَ المحبِ غوتهُ التربُ فاحترقا
لا شيء يؤنسها في كف وحشتها
إلا أكفٌ بكت في هامها الأفقَا
تُرجينَ في شاربٍ زهراءَ أنَّقها
كافورُ عترةِ مَن مِن مدمعٍ غرقا
لا النفس تغفرُ إن شاخ الهزيعُ بها
أدماء من دَلها ماسَ الهوى ترقا

وحدَّثها عن سدنةِ الهيكلِ فقال :
بجوانب مخضبة بخمرةِ الشمسِ
تنوسُ على سوحِ كفك أحلامُ الرضيع
وتسلِّم عليك الآمال
" فإن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى "
محتملاً وجدَ زينب وانكسار العليل
مسلماً طفولتَك و العباس لمشيئة العاشر

جنيّات شومان

بخورٌ بخورْ
هنا في يديك يُصلي المحارُ وتُعطى النذورْ

بخورٌ بخورْ
وبعــــضُ الكؤوسِ توسّدُ أنفاسَها في حبورْ

بخورٌ بخورْ
سقتكَ القناني ومالـــتْ عليكَ بأنفاسِ نورْ

حدَّثنـــا – وكانَ جالساً فاتكأ – عن أبــــــيهِ
عن جدّهِ عن شيخٍ منَ الـــــــــغواةِ أنه سمعَ منْ عابرِ
سبيلٍ – تكسّب قوتَهُ من سُكنى عششِ الصيَّادينَ –
مرويةً عن (جنيَّات شومان) مفادُها :

وأمَّا جنيَّاتُ شومان فتوجدُ في البحارِ ، تتراءى
على صورةِ الحورياتِ ، جلدُها كبياضِ البدرِ ، تجمعت
عليها القناديلُ ، وهيَ تتعرضُ للمراكبِ الضالةِ القريبةِ
منها فترشدُها لأقربِ يابسة ، فإن ظفرتَ بهـــا فاهنـــأ
برضا البحرِ ، وأمانِ السفرِ.

على مقربةٍ من مغبةِ أنثى ،
تغوِّي النكايةَ ،
وتعطي الرؤى ،
وتمخرُ السبيلَ ،
وتغفو على الغيمِ
يراهنُ البحَّارةُ على الريح
وتعقدُ عليهمْ بناتُ شومان بوشاحٍ معطوفٍ على سوارٍ
مختومٍ بفضيخ المسك ...

فيامسكْ ،
يامسكُ ، يا سنبل الطيبِ
رعتكَ الظباءُ وصانتْ عروقَكَ أزهارُ مروٍ
وحنَّت أياديكَ هنديةٌ بدما سُرَّةٍ
أثقلتها الورودُ بطولِ العناقْ

فيامسك ،

يامسكُ ياسيدَ الريحِ في قاربٍ

قد أضاعَ الطريقَ إلى كتفٍ مثقلٍ بالدروبِ الطويلةِ

يا مدني

في يديَّ الصلاةُ شرابٌ

والقناني عتاقْ

وحدّثنا متكئاً عن بناتِ شومانَ ، فقال :
وإن حدَّثكَ قلبُكَ الظفرَ بهنَّ فاجعلْ خاتَمَــكَ اليــشمَ ، وقلادتَكَ الياقوتَ ، ولباسَكَ الحريرَ ،وطيبَكَ الــداري ، ولا تدخل عليهنَّ إلا في صَبوحِ مطرٍ ، محمَّلاً بهداياك : زهرُ الآس ، والصندلُ ، ونسايجُ القزِّ ، والديباجُ ...

وغنِّ لهنَّ ، غنِّ :

"أمنتك الله ياخايض بحر شلوى

وقلوبنا تخـــــشع وقلوبنا تلوى

أمنتك الله (يابوالنفنوف طايح)

ياسيسبان العقل يالعنبر الفايح "

وغنِّ لهنَّ ، وتوددْ ، وتلطّفْ ، ولا يطِلْ مقامُكَ، فــإنهنَّ بناتُ ملوكٍ ، يرفلنَ في الطاعةِ ، ما حَمَلْنَ ، ولا دَفَعْنَ ، ولا رضَعْنَ ...

وحدَّثنا — وكان متكئاً فجلسَ — وقــالَ : وعلامتُهـــا قنديلانِ معلَّقانِ على صارٍ من ذهبٍ ، وأربعةُ أفــراسٍ دارعونَ على بياضِ الخدرِ .
عاتقةٌ كاعبْ ، ما مسَّها لاعبْ ، متشكِّلةٌ ألوانُهـــا ، مأمونةٌ أصفادُها ...

ثلجٌ مقبّلُها ، عذبٌ مشـــــرّبُها
بطحاءُ صُبَّ بها من مَفـــرَقٍ هَبَبُ
سلِ المحارةَ كيفَ الطيرُ يصحبُـــها
تظلـــها حومةٌ بالسترِ تحتجـــــبُ
قد سارَ في فلواتِ اليمِّ يتبعُـــــها
كأنَّ سيفَ الرَّدى بالموت يختضبُ
ها قالها وصروفُ الدهرِ تمنعُـــــها
شيطانُها مَلَكٌ ، والرُسلُ قد كتبُوا

فإن استأنسَتْ بكَ فالوحى الوحى
... العجلَ العجلَ
... الساعةَ الساعةَ !
فمَا لياليها إلا عددٌ ، وأيامُها إلا فندٌ ،
فاقضِ ما أنتَ موكولٌ بــهِ قبـــلَ غـــروبِ الـــشمسِ،
وإسراج القناديل .

فـإن أحبـوا النفـرةَ لحجّهـم غزلـوا القطـن منقوعـاً بميـاهِ الأرضـين السفلى، ثم وضعوهُ على قوارير سائغة للشرب، خالصة لهـم دونَ غيرهم .

فُرُش الجنّية

أربعُ رغائبَ لريشة

رغبة أولى

"اجعلْ اللونَ لونَكَ "
وَ "اغرسْ فرشاتَكَ بدمِ قلبِكَ"

مرهونٌ بلحظتِك ... تتكئُ لا على طريقتِهِم ولا على طريقتِك ...
مزاجُكَ بنبيذك ...
وألوانُكَ مطلةٌ على الجهات :
جهةٌ للغيمِ ... وجهةٌ للريحِ ... وجهةٌ للمطرِ ...
وأخرى لظنونِك

مُوَشَّاةٌ بالفصوصِ ... مختلفةٌ بالفراغِ ...
مزينةٌ بأقواسِ الحجرِ ... ومزوَّقةٌ بالذهبِ

تنقلُ رونَقَكَ إلى حيثُ محميَّـــاتُ الملائكـــةِ ومغـــوى الشياطين ...
هناكَ حيثُ تسكنُ روحُكُ بمعيَّة الـــسُرُجِ ، مـــصحوبةً بمضاجعِ العقيقِ ، ومقصوراتِ الملكات ...

دفقٌ منْ ضوئِكَ الخفي
نرفُضُهُ أونقبلُه ... نَهبُهُ أونُمْسكُه ... نُرْسِلُهُ أونُفَدِّيه

وأنتَ ياصاحبي ...
يمانُعُكَ الورقُ ويشاغبُ في فيئكَ البياضُ
بالبرديِّ والقشِ والقصبِ تنقلُ باحاتِكَ منْ صلابةِ المادةِ لروحانيةِ الصُلبِ

فَخُذْ لونَكَ بالطِّينِ ... خذْ لونَك
وَأَوْكِلْهُ للنَّارِ ثمَّ شكِّلْهُ وَجَفِّفْهُ وَاحْرِقْهُ وَخَمِّرْهُ بمائِـــكَ واعجنهُ بيديكَ

فإنما تجمعتْ أكاسيدُك للطلاءِ ، ولغوايةِ الأقمشةِ ،
فأطلقْ عقالَهَا للريحِ ...
واملأْ سطوحَكَ حتَّى يَرْتَوي بصري بهدايةِ الجنِّياتِ ...

فما انتكستْ لكَ بعدَ غايةِ الأصباغِ راية
ولا استزادكَ الفراغُ بعدَ لغوبِكَ آية
أسْرَجْتَ قنديلَكَ للمَدِّ ، وَبسطتَ لهُ تَقَـــوُّسَ القنـــاطرِ وجدرانَ الأضرحة ...

ثمَّ قلتَ لغريمِكَ الإنسي:
هاتِهَا ، وشقَّ على مَهَلٍ جيدَها، وارثِها ،
ثمَّ تنحَّ عنّي فأنا العانسُ ، سَمِيُّ وارثِهِمْ ، وشقيقُ واترِهِمْ !
وبحضرتي تمَّ عرسُ اللَّونِ ، واكتملتْ جلالةُ الصورةِ ...

غريمُك في السُّرى يُغري بلونٍ
فَتُجْلسُهُ إلى ركـــنٍ قصيٍ
وتَذهبُ حيثُ شئتَ بغيرِ هادٍ
دليلُكَ للبياضِ هدى النجيِ

فأنتَ على جمرٍ ، الماسكُ بهِ كالماسكِ على دينهِ ،
لا قديسةٌ تهديك ، ولا جنيةٌ تغويك
فكنتَ اللّؤلؤةَ الغنجَ ترفلُ بينَ ناهدين
تنظرُ ساعةً وترسمُ في اثنتين

أروقةٌ ، وباحاتٌ ، وقببٌ ، وغرفٌ ، وآبارُ ، ومحاريبُ خشبيةٌ ، ومرمرٌ مشففُ الألـــوانِ ، مكـــسوٌ بالـــذهبِ المزخرفِ ، وفسحةٌ قد تَوَسطَتْها بركُ الماءِ ...
هياكلُ انبعثتْ على معابدَ ، وأصباغٌ تقوّمتْ بالتماثيلِ
فَلِمَنْ كلُ هذا ياسليلَ الإرث ؟!

لمن المرفأُ ، والرؤى ، وأمكنةُ العشبِ ، ومواسمُ العودةِ ، ومراقدُ الصَّيفِ ، وحالةُ البنفسج ؟
لكَ أم عليك ؟ ... لحاضرتِكَ أم لغائِبَتِك ؟
لإنسيَّتِكَ أم جنيَّتِك ؟
لرفقةِ كونكَ المجانين أم لصباياكَ اللَّواتي رقـــصنَ معـــكَ رقصةَ الحُجُبِ السبعةِ في حرملكِ الألـــوانِ وغرفـــاتِ الصباغين ؟

تُعِدُّ قهوتَكَ الموفورةَ بالبندقِ بمزاجِ المتخففِ من قَدَرِهِ ، وتُريحُ خاصرَتَكَ من وخزِ الفرشاةِ لتعبرَ جسرَكَ آملاً في شطِّ السلامةِ أن يمنحَكَ تَرَفَ القلبِ ومتاعَ الأنثى ...
فلا أنثى إلا ولها كفٌّ يؤمُّها ، وسِكَكٌ تَقُودُها ، ولونٌ يفتنُها ...

حمامةٌ رفَّت على مبهَجٍ   أفضى بليلٍ للهوى سرُّها
مُقَامَةٌ في قلبِ معصومةٍ   يشيرُ باللَّونِ لها ريشُـــها
تقولُ : لبيكَ أيا ساعِداً   نبيذُك الكأسُ وموفورُها

خاتونُكَ على الصُرَّةِ تُؤمِلُ القادمينَ بمتعثِـــراتِ قَـــدَمٍ ،
وضُرَّتُكَ على متكأِ الساقيةِ تولِمُ لكَ المناشفَ والأحبارَ ،
وترتِّلُ لكَ الوصايا :
وصيَّةٌ للغيمِ ...
وَوَصيَّةٌ للريحِ ...
وَوَصيَّةٌ للمطرِ ...
وأخرى "لحالةِ البنفسجِ " بينَ يديك

فخذْ لونَكَ ... خذْ لونَكَ ... خذْ لونَك
بيدِكَ لا بيَدِه

رغبة ثانية

ما الذي تفعلهُ الألوانُ بنا ؟
وكيفَ لهذه التشاكيلِ المتناثرةِ على جغرافيةِ المكانِ أن تؤسسَ موائلَ للروح ؟
كيف تصيّرُ الأكفُ الفراغَ حضوراً ، والبياضَ مشاغبة
من أي مسرَب ستنسكبُ الأصباغُ مرتحلةً عن مرافئ السلامةِ لمراكب القلق ؟

يتشظى الطيفُ ليتعددَ ، ويتعددُ ليتوحدَ ، ويتوحدُ ليتذوَّت، وكأنما يعيدُ بطرائقهِ ترتيبَ مشهدِهِ الكوني !

فأيٌ منا يقتحمُ الآخرَ في مكامنِ العيان ؟
فما أن تدخلَ الأبصارُ عتباتِ اللّونِ حتى تدركَ أنها ما كانت لتصبرَ على قطيعةِ المراسمِ و تراقصِ الفرشاة !

فاجعلْ على مقربةٍ منكَ قنانيكَ مليئةً بالحبر ،
مشتعلةً بالبخور ،
موفورةً بالستر

فإن عَقَدْتَ تكوينَكَ ، قلنا : احتراف ، وإن بسطتَهُ ،
قلنا : مراوغة !

فما شاهدُ الليلِ إلا شاعرٌ عاشَ خارجَ اللوحةِ بانتظارِ
الدخول ! وما راصدُ المسافةِ بينَ لونينِ إلا عابثٌ مرَّ بنارٍ
فلم تحرقه !
فأو لمْ لي بظلٍ أو خليقة ، ولا " تسرفْ في القتل " !

فسلامٌ أيها الضوء ، مباركةٌ أيتها الريح ،
إذ لا حاجةَ لطارقٍ في وفرةِ وصف ،
ولا صبابةَ في كؤوس فارغة ،
ولا سكنى في بيوت أهملتها التفاصيلُ والخطوط !

فمباركٌ أيها اللّونُ ، محميةٌ أيتها السُرُج ،
مُهابةٌ بسنيِّ الوقت ، مخفورةٌ بجلالةِ اللحظةِ وجنونِ
الإشارة

سُرُجٌ تفتحُ لعابر الوسمِ إيواناتِ الصحنِ وغرفاتِ الغواية
لتقول :
من هنا مرّت ذات هدأةٍ أنفاسٌ تتطلَّعُ لأكفّها
لتملأ البياضَ بالتضاريسِ والسحب
من هنا ، حيث لا أملَ بينَ خفةِ القلبِ وتشظي المُدَى
من هنا ، أغفلتنا العرّافةُ وسكنتنا الريح ،
فمباركٌ أيها اللّونُ ، محميةٌ أيتها السُرُج ...

رغبة ثالثة

" أنا اللَّونُ " ... نبوءةُ جمَّالٍ خذلتهُ الريح
" أنا اللَّونُ " ...تعويذةُ حادٍ تواطأَ مع الصحراءِ
" أنا اللَّونُ " ...أرتِّلُ مع الأدلاءِ مزاميرَ الرملِ

....

....

وأتمتمُ للغيمِ :
لونٌ وريشٌ
والوجوهُ تشاغبُ الأشياءَ
والأصباغُ نوتيّاتُ بحارٍ قديمْ

ورغبَ ، فقال مكمِلاً ما بدأهُ :
فاللَّونُ موفورٌ وهذا الحظُ معتَظِمٌ
ولكلِ طقسٍ في الهوى وترٌ يُمنِّي آخرَ الفرشاةِ بالتأثيثِ للآتي
خذي باللَّونِ ما شئتِ
خذي الفانوسَ والماعونَ ألواناً
خذي ناراً يباركُها مسوحُ الماءِ بالزيتِ
خذي جهتي ... خذي ذاتي !

" أنا اللَّونُ " ... وبحضرتي لا غيابَ يدلُّ عليَّ ،
ولا دليلَ يغيبُ عنّي ..

رغبة رابعة

في لجّةِ التماثيلِ

قسّمتُ طريقي على أربع ....
وتخطفتني من الرؤى أربع :
نوافلُ المصلينَ ...
ومصائرُ الشموسِ ...
ومرجساتُ الأرضِ ...
وألوانٌ بفتنةِ البياض
....
أجسُ مصيري على قيسيٍّ اسمهُ سعيدٌ
وعلى عامريةٍ اسمُها فاطمة
وأثوّب للسوابيطِ وللفوانيسِ ولأغنيةِ النَّهام البكرِ
لأبشرَ براياتيَ القادمينَ من العتمة ...

هلمّوا ... هلـــــــــــــمّوا لنفضحْ خطوطَ المسافةْ
ونعطِ المواويلَ أسماءَكم
فكفٌ نبيذٌ وكفٌ عرافةْ

فلكم وهبتني الأرضُ
مهورَها وبخورَها وأختامَها وسككَها المأبورةَ بالنخيل...
واستبْقَت في ترابِها طرفةَ والعيونيَ والخطيَ وأنبياءَ غيرَهم

شيوخٌ ومريدون ...
لكيزيةٌ وعامريّة ... عيذيةٌ وقيسيّة
أشطانٌ ملتفونَ على موقدٍ باركَتْهُ الجنُ
وطواويشُ ينتصفُ البحرُ من مراكبِهِم
خبزوا قمحَ الكفافِ بمسوحِ الزيتِ
وشربوا عليها ستَ قربٍ ...
وأخذهم الموجُ ... وراحتْ بهمُ المحامل

ثمَّ أمهلوا الفُلْكَ حقبةَ أملٍ وقالوا :

" قالوا : (التراب) !
فقلتُ : غايةُ قصدِنا ألقِ المراسي أيها الربانُ "
فطومُ آهٍ والهوى ضمآنُ فالورِدُ عنه أبعدَ السّجانُ
لولا انتظارُك للسّحابِ لكانَ في مسرى الليالِ إلى المآلِ مكانُ

فيافاطمة ...
أمهلي عشتارَ
علّ النارَ تخبو ساعةً
وزِني قسطاً فتابوتُك يغوي لترابِكْ
سائلاً رملي على الميناءِ ، مابكْ ؟!
أعلى الرقعةِ صلّيتِ الضحى فجراً
فألقى بمثاقيلِكِ للبحَّارِ ميزانُ عذابِكْ ؟!

هذهِ عشتارُ ... وهذهِ فاطمةُ
وهذهِ هيَ الأرضُ
وهذا أولُ الغيثِ

فياغيثُ ... ياغيثُ ... ياغيث
واحةٌ كواحتي أينَ يضعُها أربابُكَ ؟
وكيفَ يرومُها أبالستُكَ ؟
وإلى أينَ تدفعُها جنياتُكَ ؟
بحباءِ الملتمسِ وطرفةَ ... وفتنةِ العيشِ ... ؟
وحبابةِ الشواطئِ!!!
بسَمْتِ الطريقِ ...وسموطِ المحارِ ...
وشهقاتِ الغواصينَ !!!
أم بأحلامِ سعيدٍ ... وانتظارِ فاطمةَ ...
وزغرداتِ الأعراسِ !!!

زغرداتٌ أُلحقَ أوّلُها بآخرِها !

... ألوانُها بريشِها

... أوانِيها بكؤوسِها

... عيونُها بسدودِها

... معمارُها بأطلالِها

... زبدُها بمائِها

... والباقي غُفْل

....

....

ثمَّ مالَكَ وأعراسٌ

خضّب تموزُ صباياها بخصوبةِ الأرضِ ؟!

وصفَّ على طلاسِمِها أباريقَ تقاطرتْ بالوردِ ...

وهَمّْ ...

هَمّ هَمّْ ...

" شَرَبْت من الصَبُر سبعين راحاتْ

ولا قلبي استراح أو شاف راحاتْ

ويقولون بعد الصبر يلقون راحاتْ

شـــــيفيد الصبر من تدني المنيةْ "

....

....

"و إحنا الجن في دور وصولتنا قويةْ

علينا ثياب خضران أُقحافي أمبرقشيةْ "

....

....

أم ديلات – أدوبيل – تومّيه ...

مرافيع – تلاويس – نوميّه

هَمّ هَمّْ ...

وخاضوا مفارشَ المحارِ ومصائدَ الأسماكِ
مرهونينَ بخفرِ الجنياتِ
وصداقةِ الآجلِ والآيلِ والموشِك

على زندِ سعيدٍ قبسٌ نقشتهُ الأيامُ بمنحنياتِ السككِ ...
قبسٌ منعَ برقَ الغيمِ ...وألاذَ العامريةَ في الخبيءِ

...يطوِّحُ بهِ دليلاً ليحفظَ سريرةَ الغيبِ
بأوائِلِهِ فسائلُ نخلٍ ...
وسَكَنُ مطرٍ ... وتفريخُ رَوْعٍ

رأسٌ لا يسقطُ منَ الغربالِ الأولِ
لا يقبلُ ببطنٍ ولا بذيلٍ ...
فرسانٌ يتحدونَ سمّارَ الهيراتِ
ويسكنونَ مغاصاتِ اللّؤلؤِ
فكلُ ما عداهمُ سحتيتٌ لا يقرُّ رأسُهُ لمصيرٍ

غُرُفَاتُهم مطعّمةٌ بالأصدافِ ومنقوعةٌ في الصُبغِ ...
بمقنطراتٍ معقوداتٍ على أقواسِ الصحنِ.
ومنمنماتٍ زخرفتْ لنمارقِ الإيوانِ
تقاسمتْ أكفُهمُ مديةَ القطعِ ،
فلا بكرٌ تعتذِرُ ولا ثيّبٌ تنتظِر

محروسون بتراتيلِ البخور :
صخرةُ السيدِ المعقودةُ بالنذور ...
وشمعةُ الخير ...
وأحرازٌ ممهورةٌ بخاتمِ السلطان

فيا فاطمة ...

إنَّما أدلُّك على الغوايةِ وفتنةِ الصورة

وأحدو بكِ لسدنةِ الريشةِ والآنية

ممشوقٌ بمزيدٍ منَ الضوءِ ... يُشكِّل بهِ الزوايا

يمرُّ بهِ فلا يملِّكهُ منْ نفسهِ ساعةَ المَسْرى

مرجوٌ لغيثِ الألوانِ وتهاليلِ الريشِ

يبردُ ليبرمَ ...

يقصُ ليلصقَ ...

يمحو ليُثْبتَ ...

يُحَضِّرُ ليَصْرفَ ...

يبعثرُ ليلمْلمَ ...

يغطي ليكشفَ ...

يغيبُ ليحْضرَ ...

وهكذا ... وهكذا :

تميمةُ اللّونِ متراسُها الجبةْ

سهامُها ضوءٌ ونُزلُها جُعْبَةْ

يمينُهُ تلهو والرأسُ في دُرْبَةْ

يدورُ في فيءٍ يحسبهُ كعبةْ

فاللهُ ياربَّهْ ! ...اللهُ ياربَّهْ

وللجن مراتبُ ومنازل،

ولبيوتهم عتبات من ذهب،

ومداخل من فضة . . .

كرسيّ الجنية

زنزانة رقم (١٣)

شتراوس — ثانيةً — يقلِّبُ المعادلة
الأجوبةُ نائيةٌ حدَّ القطيعة
ثمةَ شيءٌ واحدٌ استطاعَ أن يوازنَ جدلَ الكائن
استطاعَ أن يجترحَ منَ المصالحةِ اليوميةِ هزائمَ البلاغــيينَ
والمناطقة ،
استطاعَ أن يذوِّتَ الوعيَ في دوالِهِ الرياضية (جاهزيَّاته)
وفشلَ في أن يقولَ لضابطِ التحقيق : لا

الصلاةُ - بعيداً عن الضجيجِ - مربكةٌ
شرطيُ الممر
مراقبو الدوَّار
الخرسانيات الإسمنتية
الــــــ (شماغ)
جدرانٌ برائحةِ العرقِ
الكثيرُ منَ الهزائم
رؤوسٌ ثقيلةٌ تسكنُ الزنازين
والأغصانُ لا تتحملُ عصفوراً واحداً فقط

الطيورُ بطعمِ الأمل
الكراريسُ
- الصفراءُ / الخضراءُ / الزرقاءُ — بليدةٌ كسجن
أزوِّقُ إفادتي بالكذبِ وأصرخُ :
جسمي منتَهَكٌ وقلبي أرقُّ منْ فراشةٍ
ودفاتري مُشاعة

بجدراني تفاصيلُ الأملِ وانطفاءُ الرغبةِ وانكفاءُ الجسد

...

ولا أحد

مورياك يُقلِّبُ يوميَّاتِ وولف ... أو العكس
الشوارعُ مكتظةٌ بأكفِّ المارَّة
فتاتانِ وشقي
عصافيرُ أُميمة تطلُّ من شبابيكِ مارسيل خليفة
والقضبانُ – هنا – باردةٌ مثلَ ميت

واحدٌ ، اثنانِ ، ثلاثةٌ ... حتى الثلاثين
الإعاشة

واحدٌ ، اثنانِ ، ثلاثةٌ
المعيشة

واحدةٌ إلا ربع
دوراتُ المياه

ثقيلةٌ هيَ الجدرانُ
ثقيلةٌ كذَنْب

سجدتانِ لطه وياسين

وتريَّاتُ كمنجةٍ مرتبكَةٍ ... وأغنيةٌ :

" قلبي محجوبٌ ...

نفسي معيوبٌ ...

عقلي مغلوبٌ ...

وهوايَ غالب "

ولم يصفّق أحد

صباحات كسولة

صباحاً
في ركنٍ كهذا تسلّمُ عليكَ الغواية
لتبقي فناجينَ قهوتِكَ جميعَها بينَ بين
فلاهيَ مقلوبةٌ فتقرأ
ولا مصطفةٌ فتشرب

أما الآخرونَ فمعلقونَ بمصيرِ الآجل
معلقونَ بصداقةِ الآتي
مرهونونَ برضا الغجريات

فأسلمْ لي ركنَك ... بفناجينَ مقلوبة
وليكن للآخرين مساحتُهم من الرؤيا

ولنتعارفْ معاً بمجسّاتِ الرغبةِ
وبرفقةِ الأفلاك

صباحاً
أتكوّمُ على نفسي كأيِّ كائنٍ كسول
وأمني نفسي بمصابيحِ الجن
وأتمتمُ بالسبابِ و اللّعناتِ علّ فاتحةَ اليومِ تغايرُ خاتمةَ
الأمس

أقلبُ جسديَ المَيْت
وأمدُّ أصابعي باحثاً عن فتورِ امرأةٍ تشاركني الكسل ...
تلتهمُ معي فُتاتَ الرغبة
وتمجُّ من شفتيَ النبيذ

أمدُّ أصابعي ... لا أحد
فرشٌ خاويةٌ إلا من جسدي ...
جسدي أيها الكائنُ المسكين ... ملعونٌ بروحيَ التي
سكنتك

صباحاً

حينَ أحدّقُ بذاكرة الأمس

فلا أبصرُ غيرَ كائنِ الريح يداعبُ وتري

أُلملمُ ماتبقى من رِهانات لأبصقَ في وجهِ باسكال ثانيةً

وأردّدُ :

وتري بنفسجةٌ

وتاريخي نبيذ

صباحاً

تتسللُ إلى رئتي روائحُ الموانئ

أوسّطُ ذاكرتي بين َشمعدانين

وأغرسُ جسدي في فرشٍ ليست لي

متقيِّئاً _ كما هي عادتي _ صلعةَ فوكو

... وشكَ ديكارت

أثوّبُ بعقيرتي للغيم :

ديمةٌ ترقى إلى معـــــــبدِها

بغيومٍ أمطــــــرت منها قُبَلْ

زلَّ شيخُ الجن ِحينَ ابتعدتْ

بعيـــونٍ سدّدتْ سهمَ الزللْ

فلكمْ صلّت شكوكي نحوَها

وصلاةُ الشكِ معمارُ الأجلْ

صباحاً
الأملُ ينبتُ على شفةِ الشمس
تضلّ الريحُ سكَكَها المؤديةَ لي
فلا أملَ بنداوةِ امرأةٍ بعدُ

صباحاً
يغزوني فنجانُ البارحة
ليقولَ لي :
لا ذاتَ لك
ما أجهلَك !
إنما أنتَ وجوهٌ ثلاثة

صباحاً

تلوَّ تلوَّ

وخذْ نَفَساً بكلا ساعديكْ

فلا ثمَّ ريحٌ تعاتبني إن بكيتُ عليكْ

غيبان

صوته :

غريبانِ

وهذا الجسرُ يعرفنا

صداها :

وحباتُ الندى تدري

بكم نشري وساوسَنا

صوته :

نغادرها إلى مهدٍ

شهي السترِ يجمعُنا

صداها :

ونتلو إن بكى وطنٌ بليدُ القلبِ رجعتَنا

قصائدَهُ التي نامت وما فطنت له ولنا

صوته :

أناديها عصا التذكارِ

علّ الأرضَ تسمعُنا

لعلّ ترابَها يصحو

ويعفو عن خطيئتِنا

صداها :

غريبانِ

وهذا الفلكُ شدّ لنا مرافئَهُ / سفائنَهُ

وقال البحرُ : هيتَ لنا

صوته :

تعالي يا ابنةَ الأسرارِ ناحيتي
عيونُ مغارةِ المهدِ إلى جهتي
نخيطُ ثيابَها بالضوءِ إنْ كبرتْ
ونعقدُها زمامَ الجنِ أشطانا

صداها :

سأبقى إن بقيتَ
وإن رحلتَ ستُهزمُ الذكرى
فلا وطنٌ يحيكُ الليلَ أسئلةً
ويتركُ بابَهُ إسرا
عظيمٌ أنْ نكونَ هنا
ويعظمُ أن تكونَ لنا

صوته :

أنا وطنٌ قليلُ الحظِّ
هذا الجسرُ يجمعُنا

صداها :

تعالَ الآنَ يا بلدي
لنطلقَ غيمةً في الريحِ
لا قبلي ولا بعدي
فإن الأفقَ ضايقنا

صوته :

أنا الترحالُ يا كبدي
بخاصرتي مدىً تُدمي مباهجَكم بلا حدّ
خذي شهدي صحابياً
وزفيهِ لنا وطنا

صداها :

أنا وطني

وهذي الغيمةُ السوداءُ منزلُنا

لكم ولنا

نراقصُها

ونعطي الريحَ أمنيةً

لتسكنَها وتسكنَنا

صوته :

إذن صلي

لعل اللهَ يجمعُنا

صداها :

لعلّ اللهَ يجمعُنا

معاً :

غريبانِ

وهذا الجسرُ يعرفُنا

سلالُ الشهيد

أنا ابن شقائق النعمان
لا ظلّ أردّدهُ
لأبقى واحداً غيري

أنا كالريح و الأمواجُ تأخذني
وطعمُ الموتِ رهنُ يدي

أنا بلدي
وهذا المسجدُ العالي
شخوصُ الليلِ وسط الغيم والأجراسْ
وقلبي واحدٌ كالدهر
لا يجري ولا يغري
وهذا مرقد الأعراسْ

أنا لغتي
وعفريت الهوى يدري بكل هواجس الشيطانْ
وسط يدي

أنا بن الأرض والموتى
على شفتي مواخير من الذكرى
ترتلُ سورة الرحمانْ

أيا بلدي
رأتك المرأةُ الأولى
وأعطتك الردى سلوانْ

وراحت تبصر الفنجان في سحر
كأن الوقتَ ضايقها
تَعُد شموعَها حيناً
وحيناً ترصدُ الفنجانْ

أنا ابن الأرض
لا دمها يؤرق حاجب النسيان
لا يدها تفتش في ثنايا الغيم عن نوء
ولا أسوار عالية تقيمُ قيامتي فيها

أنا يدها
أنا دمها
ولا أسوار عالية تمانع طفلةً في العيش
إن شاءت على كتف من الذكرى
فلا صغرى ولا كبرى
أشمّ ترابها وطناً
أمشطها على مهلٍ
وأقرأ سورة الإنسانْ

أنا ابن الأرض
وابن شقائق النعمانْ

شهقةُ الماء

هذا المساءُ منابتُ العشاق
في وطن
تؤنثهُ قصيدتُهُ
وتغفو في ممرِ السترِ تربتُهُ
... على نردينْ

لا فرس تجاري الريح
لا ذكرى تؤرقه
فيغفو في أغاني البحر
لا موال يُنشده
ولا أنثى تشاطره فتات الرغبة الأولى
أنا الأَوْلى بها مني
فنادمني وناولني كؤوس الصبح في وطني
وقاسمني مناصفةً سلال التينْ

وهاتِ لها مناديلي التي انفكت من التابوت
غنّ لها
وسائلْها عن الريحان في يدها
أيا امراةً لها وطن تقيس ثيابه بالطينْ

مشاغبةٌ ولا تدري بقلب ماس في دمها
كعصفور بكى لَّما غفا جفن بأدمعها
أرى وطناً يكف صراخه لَّما تداريه فيسمعها
وينشدها قصائدَها
ويعطيها الهوى المسكينْ

كأغنية بلا منفى
وبابٍ فارغ الكفينْ

أيا امرأة تشاكسهُ وتمشي مشية التيهِ
فروضُ مسوحهِ وجبتْ
وشفّ الماء مِنْ فيهِ
خذيه الآن وسط لظىً
يقيمُ الشفعَ في وِترينْ

فحينا يرتجي وصلاً
وحيناً وصلَه تنسينْ



هو اليومُ
والوقتُ بين الصباح وبين الصِّبا
والضحى موعدٌ لاستفاقتها
فيئها رغم كلِ الغيمِ شمسُ

يمشطهُ في الطريقِ إلى بيتها ظلها
واحتمالاتُ مبسمها
تحثُ الطريقَ خطاهُ لتغتال ضوء المكانِ
يَعُدُّ الثوانيَ والقلبُ عرسُ

يشاهدهُ العابرونَ
ولا شيءَ في زحمةِ السيرِ غير انتظارِ المحبةِ
في كشكِ حلوى
تصدّقهُ هالةٌ من دخانٍ تصانعهُ في يديهِ
ليجلسَ منتشياً بالزوايا
يقولُ لها :
هل أنا في انتظاركِ رقمٌ تجيدينَ رفقتهُ ؟
فالشوارعُ ملأى وقلبُ المدينةِ يأسُ !

هو اليومُ
والوقتُ لا شيءَ
والقلبُ برٌ منَ الأفقِ المتراقصِ فيئاً
ولا ماء في منتهى قبضتيهِ
تُشدُّ إلى ساحهِ العيسُ

يقول لها :
يارفيقةَ ظلي
أضعتُ الطريقَ إلى رئتي
كعبتي جهتي وشمسُك قدسُ

يرددها تعبُ كلُّها
شموسُك نفسٌ
ونفسُك حبسُ

هو اليومُ
رغم الريحِ والإعصارِ والأمطارِ شمسُ

طقوس التحضير

- كرسيُ الجنية

زنزانة رقم (١٣)

صباحات كسولة

غريبان

هلال الشهيد

شُبْهة الماء

الجوُ شمس